

THE THEME OF REBELLION IN WOMEN'S WRITING (AUNTIE UMM HANI'S NOVEL MODEL)

Researcher Fadoua BELMILOUDI¹

Cadi Ayyad University, Morocco

Abstract

The novel is a window to reveal the concerns of women as a literary space in which they seek to protect their feminine existence from the domination of male culture and get rid of the unsatisfactory image that society has set for them, declaring rebellion against her reality and trying to climb to the center based on multiple themes that have translated her pain, mortification and anguish. This paper focuses on invoking the theme of rebellion in women's writing and studying it as one of the important issues that novelists have given great importance in their fiction, women in rebellion practice challenging processes against forces that they cannot defeat. Hence the following problem arose: How did the novelists employ the theme of rebellion in their writings, the novel (aunt um Hani) by Raiha Rayhan as a model. And why did she use this theme as a form of self-defense in her novel.

Key words: Theme, Murtid, Novel, Women's Writing.

 <http://dx.doi.org/10.47832/2717-8293.29.10>

¹  Fadouabelmiloudi@gmail.com

تيمة التمرد في الكتابة النسائية (رواية الخالة أم هاني نموذجاً)

فدوى بلميلودي

جامعة القاضي عياض، المغرب

الملخص:

تعد الرواية نافذة للبوح بهموم المرأة باعتبارها الفضاء الأدبي الذي تسعى من خلاله لحماية وجودها المؤنث من تسلط الثقافة الذكورية والتخلص من الصورة غير المرضية التي وضعها لها المجتمع، معلنة التمرد على واقعها ومحاولة التسلق إلى المركز انطلاقاً من ثيمات متعددة ترجمت ألمها ووآد معنوياتها ووجعها، وهذه الورقة تركز على استدعاء تيمة التمرد في الكتابة النسائية ودراستها كونها من القضايا المهمة التي أعطتها الروائيات أهمية كبرى في متنها الروائي، فالمرأة بالتمرد تمارس عمليات التحدي ضد القوى التي لا يمكن أن تهزمها. ومن هنا انبثقت الإشكالية التالية: كيف وظفت الروائيات تيمة التمرد في كتاباتهن، رواية (الخالة أم هاني) لربيعة ريحان نموذجاً؟ ولماذا وظفت هذه التيمة كشكل من أشكال الدفاع عن النفس في روايتها؟

الكلمات المفتاحية: التيمة، التمرد، الرواية، الكتابة النسائية .

المقدمة

لقد تناولت الروائيات قضايا المرأة بكل أبعادها المختلفة فكرياً، واجتماعياً، وثقافياً، وسياسياً، بطرق فنية، ليكشفن لنا اضطهادهن الممتد منذ القدم، فجاءت نصوصهن الروائية عبارة عن فسيفساء تقدم كل قطعة منها قضية من القضايا الشائكة في المجتمع، وقد تألقت العديد من الكتابات في مجال الإبداع الروائي، ولعل أبرزهن الكاتبة ربيعة ريحان في روايتها " الخالة أم هاني" التي تميزت بجرأة في التطرق إلى قضايا تعد من المحظور كالسياسة والجنس وتمردها على محيطها، حيث ترجمت وجع المرأة المغربية التي قررت أن تحرر روحها من الكدمات وجسدها من الاختراق، فهي تحاول أن تشجب صورة المرأة المسلوقة اللسان التي تعيش في قفص الصمت انطلاقاً من فعل التمرد على واقعها المر الذي جسده لنا الكاتبة في شخصية (الخالة أم هاني وزيجاتها الخمس) فهو تمرد نابع من أعماق الأنوثة الذي حولته إلى كتابة جريئة وفق رؤية جديدة، بدت فيها كتابة ربيعة ريحان حسنة الحبكة، قوية السبك، وعميقة الرؤية، فروايتها نافذة للبوح بهموم المرأة التي تحاول عبرها التخلص من الصورة غير المرضية التي وضعها لها المجتمع.

إن هذه الدراسة لا تتعلق بالجانب الفني داخل الرواية وإنما تتعلق بالجانب التيمي؛ أي الموضوعات التي وظفتها الكاتبة داخل الرواية بدءاً بالشخصية أم هاني كبؤرة معجمية للرواية التي تفرغت عنها مجموعة من الثيمات منها: تيمة الألم والحزن والتمرد...وسنلقي الضوء هنا على تيمة التمرد، انطلاقاً من الإشكالية التالية: ماهي مظاهر التمرد في رواية (الخالة أم هاني)؟ ولماذا وظفت الكاتبة هذا الفعل كشكل من أشكال الدفاع عن النفس في روايتها؟

الإطار النظري: (المفهوم والماهية).

مفهوم التيمة:

التيمة ويأتي معناها في المعاجم العربية على وتر واحد، وهو مرتبط بالذبح (لغرض ما)، أو الخرز المعلق على الصبي²، ولها عدة معان مترادفة: كالموضوع، والغرض، والمحور، والفكرة الأساسية والعنوان، والحافز، والبؤرة، والمركز، والنواة الدلالية والمضمون والقضية والجذر...، لكن تعد (التيمة) الترجمة الأكثر تداولاً في المغرب على الخصوص، ونجدها في كتب تهتم بالسيمياء خاصة أعمال سعيد يقطين³، مثل كتابه القراءة والتجربة الذي يقول فيه: "وفي العالم الروائي الذي بين أيدينا نجد "ثيمات" أساسية كثيرة لها دلالاتها البعيدة لمن يريد قراءة الرواية قراءة "تيمية" (thématique) " ونفس الشيء في أعمال عبد المجيد نوسي أما صدوق نور الدين فنجدها في بعض مقالاته تقابل كلمة (thème).

أما في القاموس الفرنسي (Larousse) 5 فقد ورد مصطلح يعني المادة (matière) أحياناً والموضوع (sujets) حيناً آخر.

ويعرف الناقد المغربي سعيد يقطين "التيمة (Thème) " بأنها " الفكرة المتواترة في العمل الأدبي، وتستعمل أحياناً بمعنى الحافز الكثير التواتر غير أن "التيمة" أكثر عمومية وتجريد⁶.

ونخلص إلى أن التيمة هي موضوع الكلام وموضع النقاش وتشير إلى مجموعة كلمات تنتمي إلى حقل واحد لإعطاء دلالة معينة؛ فمثلاً قد يكون النص يوحى بالحزن ويسيطر على الرواية جو من الأسى فنقول إن التيمة هنا هي تيمة الحزن والأسى، أو الفرح أو اليأس وهكذا...

مفهوم التمرد:

إذا ما بحثنا في الدلالة اللغوية لمصطلح التمرد نجده يفيد العصيان والخروج عن المألوف، وتجاوز الشرائع والأعراف والقوانين والرفض، والمعارضة كما جاء في كتاب العين: تمرد عليه أي عصى واستعصى، ومرد على الشيء أي عتا وطمغى، وكذلك قوله تعالى: "مَرَدُوا عَلَى النَّفَاقِ"⁷96.

وتمرد عليه بمعنى ثار عليه وأعلن الثورة والعصيان؛ "ثار على النظام/ التعسف/ الظلم/ الفساد"⁸

والمارد من الرجال بمعنى العاتي الشديد⁹

(2) لسان العرب، ابن منظور، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت. لبنان، ط1، 2000، م، ص252-251.
- المعجم الوجيز الميسر، دار الكتاب الحديث، الكويت، ط1، 1414هـ 1993م، ص76.
- مختار الصحاح، عبد القادر الرازي، دار الكتاب الحديث، الكويت، ط1، 1993، ص88.
(3) القراءة والتجربة، سعيد يقطين، دار الثقافة. الدار البيضاء، ط1، 1985م، ص232.
(4) نفسه: ص232. 233.
(5) Définitions: thème - Dictionnaire de français Larousse)
(6) مفهوم المقاربة الموضوعاتية (fenni-e-spaces.blogspot.com).
(7) كتاب العين: الخليل بن أحمد الفراهيدي البصري، تح: د مهدي المخزومي. د إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال للنشر، ج8-ص47، (مرد).
(8) معجم اللغة العربية المعاصرة: أحمد مختار عمر، عالم الكتب للنشر، ط1 (1429هـ. 2008م)، ج1، ص335.
(9) المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم: د محمد حسن جبل، مكتبة الآداب. القاهرة، ط1، 2010م، ج4، ص2026.
ينظر: (معجم العين، تهذيب اللغة، المحيط في اللغة، الإبانة في اللغة العربية، لسان العرب، القاموس المحيط، معجم متن اللغة، معجم اللغة العربية المعاصرة، المعجم الوسيط، المعجم الاشتقاقي المؤصل...).

ورود في معجم أساس البلاغة بمعنى، مارد من المزداد ومُتمرد وشيطان مريد.10
كما جاء في معجم الدوحة التاريخي للغة العربية كذلك بمعنى العتو والطغيان:
قال أبو نواس:

وَأخُذْ فِي مَذَاهِبِ قَوْمٍ لَوْطٍ *** وَلَا أَلُو تَمَرْدَ قَوْمٍ عَادٍ11.

أما القاموس الفرنسي فالتمرد (révolte) مشتق من اللفظ الإيطالي (rivoltare) ويعني التغيير أو العودة؛ أي إعادة الأوضاع إلى ما كانت عليه12.

ونخلص مما سبق أن التمرد عمل إرادي واع إلى حد كبير يقوم به الفرد نتيجة لظروف ما تختلف من حالة لأخرى.

التمرد الأثوي كمصطلح:

سلك مصطلح التمرد اتجاهات متعددة ومتشعبة، منها الاجتماعي والإسلامي والنفسي... وهو من أكثر المفاهيم عمقا وتشعبا حتى أصبح يدل على التميز والاختلاف، فنجده عند عدد كبير من المفكرين يعني الثورة على الوضع الإنساني، يقول "إيريل سيلبين" التمرد هو النوع الذي يمثل عصيانا أو انتقاضا نادرا ما يسعى لتغيير النظام بكامله بقدر ما يهدف أيضا إلى الضرب على مواضع معينة، داخل النظام الراسخ للحكم، أو إلى إعادة تنظيم الحكم، ليعالج اختلالات بعينها، أو لتغيير حالات محدودة؛13 بمعنى رغبة الانسان في تغيير وضعه لا يكون إلا بتصديه للطبقة الحاكمة ومواجهتها بعد الانصياع لها ولأوامرها... ويرى (علي شرش) أن التمرد عملية تفاعلية كبيرة داخل الإنسان وخارجه بين العوامل المحيطة والعوامل الشخصية. فالقرار الذي قد يبدو أمامنا بسيطا وحاسما ونهائيا إنما يأتي بعد تفاعلات - أشبه بنظائرها مع الكيمياء - بين عدد كبير من الظروف والعوامل.14

كما وردت عدة تعريفات لهذا المصطلح من قبل الفلاسفة من بينهم تعريف البير كامو15 الذي يقول فيه إن التمرد هو مواجهة بين الانسان والشيء الغامض فيه، فهو عبارة عن البحث على الحقيقة وإزالة الغموض عما يريده الانسان، ومن هنا أصابت المؤرخة النسوية سوزان ألس واتكنز كبد حقيقة تمرد المرأة في كتابها الموسوم ب (الحركة النسوية) والذي تمثل في قولها: إن المرأة تقوم بالتمرد على كل بني القوى وقوانينها وأعرافها"16 من خلال تصدع ذات المرأة والتمزق بين الذات والبنية الاجتماعية فقد يكون تمردا مبررا أو غير مبرر، وبهذا فالمرأة تحاول إثبات ذاتها دون تدخل الغير

10) أساس البلاغة: أبو القاسم جار الله الزمخشري، تج، محمد باسل عيون السود، منشورات دار الكتب العلمية. لبنان، ط1(1998م)، ج2، ص 203.

11) ديوان أبي نواس الحسن بن هاني الحكمي: تج: إفالد فاغر. غليغور شولر، المعهد الألماني للأبحاث الشرقية، مطبعة مؤسسة البيان. بيروت، ط2(230/5).

ينظر: <https://www.dohadictionary.org/dictionary/%D8%AA%D9%85%D8%B1%D8%AF>

<mailto:https://www.larousse.fr/dictionnaires/francais/r%C3%A9volte/69162>

13) الثورة والتمرد والمقاومة قوة الحكاية: إريك سيلبين تر: أسامة الغزولي، دار الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، ط3، 2012م، ص (38).

14) التمرد على الأدب: علي شلش، دار الشروق، بيروت، ط1، 1994، ص (15 - 16).

15) أسطورة سيزيف: البير كامو، تر: أنيس زكي حسين، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت لبنان، دط، 1983، وهو (فيلسوف وكاتب

مسرحي وروائي فرنسي، وفي روايته "أسطورة سيزيف" يدعو فيها إلى العبثية والتمرد...).

16) الحركة النسوية: سوزان ألس واتكنز ومريزا رويدا ومارتا رودريجوز، تر: جمال الجزيري، مراجعة علمية: شرين أبو النجا، مراجعة وإشراف

وتقديم: إمام عبد الفتاح إمام، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2005م، ص (15).

عن طريق محاربة الحواجز التي تعيقها في تحقيق أهدافها وطموحاتها وبالتالي فقد يكون تمردها إيجابيا كما قال "سارتر Sartre": "فالممول التمردية قد تكون مفيدة في مساعدة الفرد على النمو في اتجاه استقلاله". 17

الكتابة النسائية:

تعد المصطلحات التالية (النسائية - النسوية - الأنثوية) للوهلة الأولى متقاربة لكنها في الحقيقة تتضمن فروقات تتراوح بين التمثيل البيولوجي وتحديد الجنس الأنثوي إلى الوعي الفكري المعرفي إذ يذهب عبد الله إبراهيم إلى ضرورة التفريق بين كتابة النساء والكتابة النسوية في بحثه الذي عنوانه "ب" سرد النساء وسرد الرجال" فكتابة النساء هي الرؤية الأنثوية للذات وللعالم وقد تماثل كتابة الرجال في الموضوعات والقضايا العامة، لذا فمصطلح (الكتابة النسائية) نجده عند بعض الناقدات مرادفا لإبداع المرأة كشرين أبو النجا فهي ترى أن الأدب النسائي يخص المرأة وشؤونها لأن "التجربة دائما متغيرة حسب الزمان والمكان والطبقة الثقافية والجنس والخبرات الجانبية ولا يمكننا تجاهل هذه العوامل لنضع مجموعة أعمال في سلة واحدة ونطلق عليها (أدب نسائي)، وإلا سقطنا في المطلق مرة أخرى وشبكة الصور النمطية" 18 بمعنى آخر هي "الإبداع والفن الذي يؤكد وجود سرد نسائي وآخر ذكوري لكل منهما هويته وملامحه وخصوصيته التي تميزه وتكسبه صبغة خاصة به، وقد يتسع هذا المفهوم ليشمل الأدب الذي تكتبه النساء والأدب الذي يكتبه الرجل عن المرأة" 19 كما سبق ورأينا و يأتي الناقد محمد معتصم ليخلص لنا الفرق بين الكتابة النسائية والكتابة النسوية فيقول "الكتابة النسائية هي الكتابة التي تبدها المرأة عموما في حين تعد الكتابة النسوية بمثابة جزء من الأولى. 20

الإطار التطبيقي: تيمة التمرد في الكتابة النسائية، رواية الخالة أم هاني نموذجاً.

الفضاء العام للرواية:

صدرت رواية الخالة أم هاني عن دار العين للنشر سنة (2020)، وكاتبها هي الروائية المبدعة ربيعة ربحان من مواليد (1951)، رئيسة المنتدى المغربي للثقافة والفنون، وعضو اتحاد كتاب المغرب منذ 1992، وعضو مؤسس للملتقى العربي للمرأة والكتابة، وقد ترأست فرع الاتحاد في الرباط لسنوات ونشرت نصوصها القصصية بمجموعة من الصحف والمجلات مثل: (أنوال، 8 مارس، والاتحاد الاشتراكي، وآفاق، وأدب ونقد، والآداب (لبنان) والسفير، وبيروت المساء، والصحافة(تونس) والثقافة الجديدة.

وفي هذه الرواية حاولت أن تترجم لنا واقع المرأة المغربية في قالب مليء بالأحداث والمتغيرات، وبشكل خاص انطلاقاً من نسج محكم لأبطال الرواية ومكانها وأحداثها...بدءاً بالشخصية أم هاني البؤرة المعجمية للرواية مروراً بمدينة أسفي البؤرة المقصدية للرواية والتي اتخذتها ربيعة ربحان كفضاء للحكي، فهي تتحدث عن وجع الأنثى وعن هواجسها وآلامها التي جعلتها تتمرد على واقعها، ونفسها، ومجتمعها، وعاداتها، وتقاليدها... فهي تنقلنا إلى نموذج المؤسسة الزوجية التي لم تخلف وراءها سوى ركام من القهر والحرمان النفسي والعنف الجسدي، وتجعل الصوت النسوي للبطلة أم هاني

17 (التمرد النفسي وعلاقته بالإنتاج الإبداعي لدى الفنان التشكيلي الفلسطيني: نصر صبح الفيق، مجلة جامعة فلسطين للأبحاث والدراسات، م: 7، ع: 2، فلسطين، يونيو 1927، ص (7).

18 (عاطفة الاختلاف قراءات في كتابات نسوية: شيرين أبو النجا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر 1998، ط1، ص (46).

19 (النقد الأدبي الحديث من المحاكاة إلى التفكك: إبراهيم خليل، دار المسيرة للنشر والتوزيع، عمان ط1، 2003، ص (134).

20 (بناء الحكاية والشخصية في الخطاب الروائي العربي النسائي: محمد معتصم، منشورات دار الأمان، الرباط 2007، ط1، ص (8-7).

يعلو ليرصد واقع المرأة في المجتمع انطلاقاً من نسج عالم مكثف بنماذج لخمسة زيجات فاشلة ومتضررة من المجتمع الذكوري المُحمّل والمُعَبَّأ بالعادات والتقاليد.

أدب ربيعة ريحان ومؤلفاتها:

صدرت لربيعة ريحان ثمانية مجموعات قصصية، من بينها: "مطر النساء" (1999) التي حازت على جائزة الإبداع النسائي بالإمارات العربية المتحدة، ثم انتقلت من الفن القصصي إلى الروائي حيث صدرت لها ثلاث روايات: الأولى "طريق الغرام" (2013)، والثانية "الخالة أم هاني" (2020)، والثالثة "بيتنا الكبير" (2022) كما تُرجمت بعض أعمالها إلى الألمانية والإسبانية والإنجليزية والدنماركية ثم الفرنسية.

التمرد ومظاهرة في رواية (الخالة أم هاني):

اتسمت ربيعة ريحان بالجرأة في ملامسة المسكوت عنه في روايتها والخوض في موضوعات كانت في عوالم اللامطروق وذلك من خلال المغامرة وكسر النمط التقليدي للسرد وإثارة الأسئلة المتعلقة بالنسق الثقافي المضمر، ومساءلة البنية الثقافية السائدة ومحاكمتها، انطلاقاً من تيمة التمرد التي هي صميم العملية الإبداعية. فكيف تكتب ربيعة ريحان إذا كانت متصالحة مع ذاتها ومع العالم؟ كيف تكتب دون أن تنطلق من موقف احتجاجي؟

فالرواية تنقلنا إلى نموذج المؤسسة الزوجية التي لم تخلق وراءها سوى ركام من القهر والحرمان والعنف النفسي والجسدي وقد جاء الصوت النسوي للبطلة (أم هاني) ليرصد لنا هذا الواقع، وفيه سعت الكاتبة إلى نسج عالم مكثف بنماذج لخمسة زيجات فاشلة ومتضررة من المجتمع المحمل بالمتوارث من العادات والتقاليد كلقهر المجتمع للمرأة "المطلقة" الرديف المباشر لكلمة العار.

أسباب التمرد في رواية (الخالة أم هاني):

التمرد نتيجة الحرمان الأسري:

تشير بعض الأدبيات في مجال البحوث النفسية إلى أن المحرومين من الوالدين أكثر تمرداً وعدوانية من العاديين وهذا ما توصلت إليه دراسات كل من: (بياجيه 1966) و (القماح 1983) و (زيور 1989) 21.. فالأسرة تلعب دوراً هاماً في حياة الطفل منذ ولادته كونها تعمل على تنشئته والعناية به وتُحقق له الشعور بالطمأنينة والاستقرار والرضا وتقبل الذات والتفتح على العالم الخارجي، وبذلك فهي تؤثر على جميع جوانب النمو المختلفة؛ جسمية كانت أم عقلية أم انفعالية، وهذا التأثير لا يقتصر فقط على الطفولة إنما يتعداها إلى المراحل اللاحقة، ففقدان الوالدين ينجم عنه حرمان الفرد من العيش في كنف الأسرة الطبيعية والتمرد على واقعه، حيث يرجع فلتون (1978) ظهور سلوك التمرد إلى الحرمان الأسري المتمثل في فقدان أحد الوالدين أو كليهما، إضافة إلى التغييرات التي تدفعه إلى العناد وإعلان العصيان، أو تدفعه إلى الرغبة في الاستقلال، وقد تمثل هذا في قول شيماء 22 عن فقدان أم هاني لأبويها: "أنها لم يسبق لها أن تعاملت معهما، وأنهما ماتا وهي مازالت بعد طفلة... فالخالة امرأة هشة والحظ جافاها من زمان منذ أن مات الأب والأم" 23 ثم توفي أخوها

21 (الحرمان من عاطفة الأبوين وعلاقته بالسلوك العدائي لدى المراهقين، م. د. قيس محمد علي / م. م. محاسن أحمد البياتي، كلية التربية، جامعة الموصل، مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية، المجلد 9، العدد 3، ص (60).

22 (وهي الشخصية الراوية التي تربطها علاقة خؤولة مع الشخصية البؤرة (أم هاني) من بداية الحكاية لنهايتها.

23 (رواية الخالة أم هاني، ربيعة ريحان، دار العين للنشر، القاهرة، ط1، (2020)، ص (108).

الصغيران بعد ذلك وبقيت طفلة وحيدة 24 خاصة بعد أن فقدت جدتها لأمها (لالة هشومة) وبهذا صارت يتيمة بمعنى الكلمة 25 وقد أثر هذا الفقدان المستمر لأحبائها في حياتها النفسية فأصبحت تشعر بغربة في محيطها وجفاء في علاقتها بالآخرين وإحساس بالفقد والضياع وعدم تلاؤم بين - الداخلي النفسي والخارجي الواقعي - واستمرت معها حالة الحرمان هذه حتى كبرها، تقول شيماء: " وعندما تبكي الخالة يُتَمها وتتحسر حتى وهي في تلك السن فليس لأحد الحق في أن يلومها على ذلك أو يُنصّب نفسه رقيبا عليها" 26.

التمرد نتيجة الحرمان العاطفي:

يُعرف الحرمان العاطفي على أنه نقص في الدفء والمودة والاهتمام، خاصة من جانب الأم أو من يقوم مقامها أثناء سنوات الطفولة الأولى، فيرى برنارد أن الأم تشكل أول علاقة للطفل مع الآخرين ويمكن لهذه العلاقة أن تتخذ موقفا أساسيا غير واع يتحكم في علاقاته المستقبلية، وقد ذكر مصطفى حجازي أن انقطاع العلاقة بين الأم والطفل يؤدي إلى الانفعالية والفشل في تكوين علاقة مع الآخر ويلجأ بذلك إلى الثورة والعصيان لتوكيد الذات كما فعلت الخالة أم هاني، تقول شيماء: " مشاعر الفقد تظل تُوجع ولم تستطع الخالة أبدا أن تهزمها أو أن تنتصر عليها حتى بعد هذا العمر" 27 ويتمثل هذا في الصراع بين دوافعها ورغباتها المتعارضة في زيجاتها الخمسة، حيث دخلت في حالة وجدانية عنيفة وجو مليء بالفوضى والضياع الذي اشعرها بالحاجة الملحة إلى الفرار من أزواجها باستمرار إما لظلم حاقها، أو فقط لأن هذا الزواج لا يتفق ورغباتها أو يلبي حاجاتها.

تمظهرات التمرد في رواية (الخالة أم هاني):

التمرد والقص التذكري:

يحضر القص التذكري بصورة ملفتة للانتباه داخل الرواية وقد جاء على شكل مفارقات مؤلمة يؤطرها التمرد على الاستلاب وهو "الوصف الموضوعي لحال الاستغلال . حال الحرمان بفعل شخص آخر ولمصلحته . وبين تبلور الوعي بشأن هذه الحال " 28 والذي تمثل في صديقة شيماء لبنى، الطالبة القادمة من مدينة خريبكة، والتي درست وإياها التاريخ في الجامعة، تقول: "أخبرتني ذات يوم أن جدتها استغلت موضوع الرضى والسخط استغلالا سيئا، فطلّقت أمها بتوكيل رسمي من أبيها المهاجر، الذي كان يعمل في إيطاليا، وحكت لي أنها كانت تقف عائقا أمام نوم كنتها مع ابنها، مُدعية أن الممارسة كل ليلة تُفقد الرجل همّته ونضارته، فكانت تعتمد إلى فعل كل ما من شأنه أن يزعجها، ويشعرهما بالحرج. 29 وعملية فرك الذاكرة التي قامت بها شيماء مع خالتها أم هاني للحكي عن تجاربها لم تُنتج سوى مزيد من صور استلاب وحرمان الخالة أم هاني واستدعاء ماضيها المؤلم بوعي المتمردة / المنتصرة على واقعها.

24 (المصدر نفسه، ص (110).

25 (نفسه، ص (213)

26 (رواية الخالة أم هاني، ص (110).

27 (نفسه، ص (110).

28 (معجم مصطلحات نقد الرواية، لطيف زيتوني، ص 22.

29 (رواية الخالة أم هاني، ص (77).

التمرد على السلطة (الأسرة - الزوج):

أ) تمرد أم الزوج (الحماة):

أخذ العرب قديماً اسم الحماة من مفاهيم أسرية رئيسة، فالخُمُو: هو أبو الزوج، والأنثى منه: حَمَاة وسموا بذلك لأنهم حماية للبت بعد أخذها من دار أبيها، يحفظونها ويصونونها، وقد كانت العرب تقول: (حماة حامية وكئة كاوية) 30 المثل الذي تجسد في حماة أم هاني التي تزوجت وعمرها قرابة الثالثة عشرة سنة، وقد حاولت أن تتحول من صورة الطفلة البريئة إلى ربة بيت دون أن يفكر أحد في سلبيات هذا الزواج وعواقبه، قالت أم هاني في زواجها الأول: "حين جاءت أم عيسى كنت طفلة يتيمة مدللة فقدت والديها وأخويها في جائحات مختلفة وبالكاد أصل إلى الثالثة عشرة أو أكثر بقليل، ولم يسبق لي أن رأيت عيسى أو رأيتني" 31 وعندما تزوجته قالت: "لم يكن لديه شغل سواي.. 32 ووصفته بالنفور والتقزز، طفلة لم يكن من السهل أن يعريها رجل ويعبث بها... مضيعة أنه عندما يصل الليل كانت أقصى أمنياتها أن تعود إلى بيت جدتها (لاله هشومة) لكنها بعد فترة قصيرة طُلقت بسبب تسلط وتمرد الحماة الشائع، تقول شيماء: "طُلقت الخالة أم هاني عملياً بسبب حمايتها الجنية التي كانت تندس لها في الزوايا والأركان، متخذة مظهر الترقب وكانت على يقين بأن عروس ابنها ستفعل شيئاً أرعن ذات يوم، زيادة على المشاحنات والتلاسن مما جعل عيسى يرضخ لأمه ويطلقها. وقد صدق من قال النساء أكثر قسوة على بعضهم البعض".

ب) تمرد أم هاني على الزوج الثاني (عباس):

قدّمت الخالة (لاله فاطمة) نصيحة لأم هاني مباشرة بعد زواجها الثاني من عباس تاجر الحبوب الأربعيني وهذه النصيحة كانت كالآتي: "كوني امرأة عاقلة تحافظ على بيتها بصبر، وتبني قدميك في بيتك واسعدي زوجك لأنك إذا طُلقت ثانية لن يتزوجك أحد، ها أنا أحذرك يقولون إن العيب فيك" 34 لأن الطلاق يعتبر وصمة عار مهما كانت الأسباب منطقية، فالمجتمع يعتبره دائماً الفشل الأكبر في الحياة؛ رغم قول ابن القيم -رحمه الله- في زاد المعاد: قَدْ يَكُونُ الطَّلَاقُ مِنْ أَكْبَرِ النَّعَمِ الَّتِي يَفُكُّ بِهَا الْمُطَلَّقُ الْغُلَّ مِنْ عُنُقِهِ، وَالْقَيْدَ مِنْ رِجْلِهِ، فَلَيْسَ كُلُّ طَلَاقٍ نِقْمَةً، بَلْ مِنْ تَمَامِ نِعْمَةِ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ أَنْ مَكَّنَهُمْ مِنَ الْمُفَارَقَةِ بِالطَّلَاقِ إِذَا أَرَادَ أَحَدُهُمْ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَكَانَ زَوْجٍ. وهذا ما جعل أم هاني تتمرد على زوجها عباس منذ أول ليلة ولم تُعر أي اهتمام لما قدمته لها الخالة (لاله فاطمة) من نصائح، وتمثل هذا في الحوار التالي: "قالت لها شيماء "لماذا تمردت على الرجل منذ الليلة الأولى؟ فردت على عجل: أبدأ، والله لحيته كانت شائكة يا شيماء لم أحس بوخز مؤلم مثلما أحسست بذقن عباس على وجهي، كانت خشنة مثل المبشرة وحاولت أن أخلص نفسي منه" 35 وهذا عن طريق الخروج من البيت بدون إذن والذي يعتبر خطيئة، ودليل هذا ما رواه البخاري ومسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: لا تمنعوا إماء الله مساجد الله؛ قال الباجي في المنتقى شرح الموطأ: قوله لا تمنعوا إماء الله مساجد

30 (كتاب العين، الخليل أحمد الفراهيدي، تح: مهدي المخزومي / إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، القاهرة، د.ت، (312/3).

31 (رواية الخالة أم هاني، ص (206 - 207) / dictionary:https://www.dohadictionary.org/mailto:الحماة

32 (المصدر نفسه، ص (204)

33 (نفسه، ص (209)

34 (نفسه، ص (216)

35 (رواية الخالة أم هاني، ص (219)

الله دليل على أن للزوج منعهم من ذلك وأن لا خروج لهن إلا بإذنه"36 فما قامت به أم هاني تمرد مقصود هدفه الاستفزاز وعدم طاعة الزوج، وهذا الفعل جعله يطلقها طلاق الثلاث بعد "ضريها بقبضتيه القاسيتين كالحجر"37.

ت) تمرد أم هاني على الزوج الثالث (صالح):

لقد وسمت أم هاني هذا الزواج بأنه زيجة مخزية لأن صالح بائع الخضر كان مدمنا (للكيف) ولم تستطع أن تتأقلم معه ومع رائحته فتسللت ذات صباح من البيت كما تتسلل الريح من بين الشقوق عائدة إلى بيت جدتها، وغادرت بيت الزوجية من تلقاء نفسها دون رجعة، وقررت بنفسها ودون أن يرغمها أحد على ذلك أن تطالب بحقها في الطلاق، وهكذا "تزوجت في شعبان وطلقت في رمضان"38.

ث) تمرد أم هاني على الزوج الرابع (علال):

كان علال الرجل الذي تزوجت به وهي في الخامسة والعشرين من عمرها رجل أريعيني مطلق ولديه ابنتان من زوجته الأولى تعيشان معها، وكانت لا تتواصل معه بسهولة بحكم أنه كان ثقيل السمع فكانت تتعمد عدم الرد عليه حين كان يصرخ طالبا شيئا أو سائلا عن شيء، وكان سعيدا معها وتمثل هذا في قولها التالي: "كان علال يمتلك الكثير من المزايا الحسنة، خلافا لكل أزواجي الآخرين، الحق يقال، كان يحب الذهاب إلى السينما مثلا، ومرات أخذني معه، كان من النوع الذي يود أن يقتسم الفرجة مع الآخرين إن لم يكن مع أصحابه فلا بأس بأن يكون معي...وفي الطريق إلى ورشته، كان علال كثيرا ما يأخذني إلى أهلي، العمات وبنات العمات والخالات كان من الصنف المؤمن بصلة الرحم"39 لكن رغم مزاياه الحسنة إلا أنها تمردت عليه وانتهزت غيابه ذات عشية فأخذت ملعقتين من جبانيتها التي تحتوي على مخدر (المعجون) وكانت تود أن تجرب نفس إحساسه بنوبات الضحك المديد لكن وقع عكس ذلك، فدخلت في حالة من الهوس والفوبيا ثم خرجت من بيتها مباشرة حتى صار كل شيء حولها يميذ ويتهاوى وبعد هذه الحادثة "تسللت من بيت النجار ولجأت إلى خالتها التي حبكت مع أقرباؤها هذا الزواج مقررة عدم العودة إلى علال مهما كان الثمن"40 وهذا التمرد لم يجد له الأهالي مبررا يدعوها لرغبتها في الطلاق إلا أنها أوجزت فقالت: "إن رائحة أوراق التبغ المغلية في المطبخ الصغير يعبق بها البيت، وأنها صارت تعلق بجلدها وبالملابس والأواني والجدران، ولا تستنشق شيئا سواها، وأن ذلك شيئا صار فوق طاقتها"41 وهكذا تخلى عنها الزوج مثلما تخلت عنه.

ج) تمرد أم هاني على الزوج الخامس (سي إبراهيم):

حكى أم هاني أشياء مشابهة لما سبق في الروتين والحياة اليومية في زواجها بسي إبراهيم تاجر الألمنيوم بسيدي بو الذهب، عندما ملئ عليها زوجها قراره بالسفر وذهب، "تركت أم هاني البيت مساء وقبل العيد دون أن يجبرها شيء على الخنوع، حتى يمين الطلاق، الذي كانت تغادر إثره بيت الزوجية مفعمة بالإحساس بالتححرر كما لم يخطر لامرأة نسوانية

36 (حديث ابن عمر: أخرجه مسلم (442)، وأخرجه البخاري في "كتاب النكاح" "باب استئذان المرأة زوجها في الخروج إلى المسجد وغيره" (5238)، وأخرجه النسائي في "كتاب المساجد" "باب النهي عن منع النساء من إتيانهن المساجد" (705) "

37 (رواية الخالة أم هاني، ص (227)

38 (المصدر السابق، ص (252)

39 (رواية الخالة أم هاني، ص (280 . 281)

40 (المصدر نفسه، ص (287)

41 (نفسه، ص (287)

على بال"42، فقضية تحرر المرأة جزء من نسيج حياتنا العربية التحررية والإنسانية والاقتصادية والمقدسة والخرافية والجنسية والسرية والعلنية ولا يمكن فك الاشتباك بينها43.

لذا فأم هاني لم تتهاون في حقها ولم تتنازل، وكانت تطلب الطلاق على عجل للتحرر مما يقيدتها ويمكن القول إن هذا راجع للاغتراب العاطفي الذي ساهم بشكل كبير في شعورها بالحرمان والانفصال العاطفي بينها وبين أزواجها مما يظهر لنا شخصية الخالة أم هاني في قالب مليء بالتغيرات الفسيولوجية، والنفسية والانفعالية التي أثرت في سلوكها المتهمم ضد الجميع واندفاعها غير المبرر، كأنها عاشت صراعا داخليا مع ذاتها وصراعا خارجيا مع واقعها.

التمرد على العادات والتقاليد:

إن العادة هي مجموعة من العادات والتقاليد التي تعتمدها كل أمة وتتخذها منهاجا للسير عليها، فيرون أنفسهم ملزمين باتباعها والجري على سننها ويرون الخروج عليها خطأ يثير الاستياء وقد يوجب العقوبة44 لأنها تصبح ممارسة ثابتة ويصعب التخلص منها، بل إن البعض يوصلها لدرجة التقديس، ويؤكد ابن خلدون أن لسلطان العادة أهمية كبرى في تطور المجتمعات فالإنسان لا يمكنه مخالفة سلفه في ذلك إلى الخشونة في الزي واللباس والاختلاط بالناس إذ العوايد حينئذ تمنعه وتقبح عليه مرتكبه ولو فعله لرمي بالجنون والوسواس في الخروج عن العوايد45 فالخروج عن هذه العادات والتقاليد ليس سهلا بل يتطلب تمردا على الأعراف ويتطلب عزيمة قوية لكسر هذا الحاجز، مثل ما فعلت بطلة الرواية (أم هاني) التي تمردت على تقاليد أهلها في ما يخص الزواج، كون خيارات تزويجها كانت جميعها مفروضة وليست اختيارية، وقد صرحت بهذا في القول التالي: " لقد جرحت خالتي لالة زينوبة كرامتي، كانت كأنها تتسول رجلا من أجلي، مع أنني كنت قد ارتحت، ولا أرغب في الزواج من أحد، لأول مرة كنت أنام وأشبع نوما، دون تلك الأشياء التي لم أكن أحبها"46 وهذا يظهر أنها تزوجت رجلا لم تخترهم وإنما جاؤوا إليها عرضا، وقد شبهتهم بالنكبات والأمراض حتى أنها تقبلتهم بشكل مجبر لأنه جرت العادة على أنه ليس للنساء قدرة على تقرير مصيرهن أو التحكم فيه، بل التقاليد والعادات هي القواعد الأقوى، التي أصبحت تمثل نوعا من القيود التي تثقل كاهل المرأة في حياتها.

التمرد الجنسي:

لقد برزت أقلام كثيرة اتخذت هذه التيمة التي كانت من المحظورات وسيلة للتمرد والتحرر من الواقع الذكوري المتسم بالقهر والعنف لجسد المرأة وأنوثتها عن طريق الكتابة، لكن الروائية ربيعة ريجان تجاوزت هذا المحذور، وانطلقت لتعبر بحرية عن تيمة الجنس الذي يندرج ضمن اللوائح السوداء ولعل اللافت للنظر أنها غلفت هذا النطاق بثيمات فكرية ذات أبعاد اجتماعية وإنسانية كزواج القاصرات والطلاق... مما جعل تمريرها للخطاب الجنسي أمرا مقبولا في مستوييه الحكائي والخطابي؛ والذي تمثل في تساءل شيماء حول حياة أم هاني عندما كانت لا تزال طفلة "لكنها زوجة مضطرة إلى أن تنام في حضن زوج الله وحده يعلم كيف كانت تمر تلك الليالي وماذا كان يحصل فيها؟" طفلة لم يكن من

42 (نفسه، ص (296)

43 (امرأة عربية وحرة، غادة السمان، منشورات غادة السمان، بيروت، ط1، 2003، ص (9).

44 (الاتجاهات نحو العادات والتقاليد كظواهر اجتماعية في المجتمع الأردني، مجلة كلية التربية، جامعة الأزهر، العدد: 3/170، أكتوبر، 2016م

45 (ابن خلدون، د.ت، ص (147)

46 (رواية الخالة أم هاني، ص (214).

السهل أن يعربها رجل، ويعبث بها"47 فمعاناة تلك الطفلة الصغيرة واختراق جسدها الصغير في سن كانت لابد أن تعيش طفولتها وتتعلم فيه لا أن تتزوج، تقول أم هاني:"

ثم تساءلت شيماء حول طلاق أم هاني المستمر، وإن كان أحد قد طرح فكرة الاستمتاع وهل هي من بين أسباب الطلاق أم لا؟ أم نكتفي بالقول:" إنها متمردة ومزاجها الصعب هو السبب، مع أن الناس يدركون أن الجنس هو الأساس، وإلا لماذا يتزوج الناس؟"48 فشيما سرعان ما تذكرت أنها صحفية وتحاول أن تكتب مقالة تحليلية جريئة حول: (المرأة في المغرب) وذلك انطلاقاً من محاولة البحث عن صيغة مناسبة لاستدراج خالتها (أم هاني) ومعرفة أسرارها وحكاياتها الجنسية وذلك بتوظيف قاموس البذاءات الذي شرّح عشرات العلاقات الجنسية، في رواية (نساء) لشارلز بوكوفسكي التي أنهت قراءتها منذ أسبوع، ومن هذا المنطلق تمردت شيماء على قيم الحياء والحشمة والأخلاق التي تقوم عليها الثقافة العربية التقليدية انطلاقاً من توظيفها لكثير من الألفاظ الجنسية التي تمثلت في:" المقبلات وكل ما يفتح الشهية للجنس، والممارسة في العلن، والحديث في التفاصيل الإيروتيكية، والنشوة، والأورجازم، والإحساس الحميمي...49 وغيرها من الألفاظ التي تنتمي إلى الحقل الجنسي.

والذي تستخلصه الورقة لخاتمتها؛ أن المبدعة والروائية ربيعة ريجان كانت عميقة الرؤية وحسنة السبك في اختيارها لتيمة التمرد كدعوة صارخة على الواقع السلطوي الذكوري المهيمن على المرأة وكسر السلطة القمعية المسلطة على رقبتها والجماعة على صدرها، فقد نجحت في توسيع دائرة متنها الروائي الحكائي بخوضها في مواضيع بعيدة عن اهتمامات الرجل كالإجبار على الزواج ومرارة الطلاق، وإبراز الدور الذي يلعبه المجتمع في حياة المرأة المطلقة من حيث تقبلها ومساعدتها مما يجعلها تستطيع إعادة تشكيل الرابط الاجتماعي...

ولعل شخصية الخالة أم هاني هي النموذج الأكثر حضوراً وجذرية في التعبير عن تيمة التمرد وتصوير حالة الانسلاخ النفسي الذي تستشعره الذات، محاولة بذلك الحفاظ على حريتها الشخصية وإثبات ذاتها دون تدخل الغير عن طريق محاربة الحواجز التي تعيقها في تحقيق أهدافها وطموحاتها، وبالتالي فقد يكون تمرداً إيجابياً.

ومن أهم ما نقترحه، هو الالتفات إلى الزخم التيمي الذي تزخر به إبداعات الروائيات العربيات عموماً والمغاربيات خصوصاً...

47 (رواية الخالة أم هاني، ص (204).
48 (المصدر نفسه، ص (166)
49 (نفسه، ص (165. 161. 160)

المصادر والمراجع:

الاتجاهات نحو العادات والتقاليد كظواهر اجتماعية في المجتمع الأردني، مجلة كلية التربية، جامعة الأزهر، العدد: 3/170، أكتوبر، 2016م.

أسطورة سيزيف: البير كامو، تر: أنيس زكي حسين، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت لبنان، د.ت، 1983.

امرأة عربية وحرّة، غادة السمان، منشورات غادة السمان، بيروت، ط1، 2003.

بناء الحكاية والشخصية في الخطاب الروائي العربي النسائي: محمد معتصم، منشورات دار الأمان، الرباط 2007، ط1.

التمرد النفسي وعلاقته بالإنتاج الإبداعي لدى الفنان التشكيلي الفلسطيني: نصر صبح الفيق، مجلة جامعة فلسطين للأبحاث والدراسات، م: 7، ع: 2، فلسطين، يونيو 1927.

التمرد على الأدب: علي شلش، دار الشروق، بيروت، ط1، 1994.

الثورة والتمرد والمقاومة قوة الحكاية: إريك سيلين تر: أسامة الغزولي، دار الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، ط3، 2012م.

الحركة النسوية: سوزان ألس واتكنز ومريزا رويدا ومارتا رودريجوز، تر: جمال الجزيري، مراجعة علمية: شرين أبو النجا، مراجعة وإشراف وتقديم: إمام عبد الفتاح إمام، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2005م.

الحرمان من عاطفة الأبوين وعلاقته بالسلوك العدائي لدى المراهقين، م. د. قيس محمد علي، م. م محاسن أحمد البياتي، كلية التربية. جامعة الموصل، مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية، المجلد 9، العدد 3.

ديوان أبي نواس الحسن بن هاني الحكمي: تح: إفالذ فاغنز. غليغور شولر، المعهد الألماني للأبحاث الشرقية، مطبعة مؤسسة البيان. بيروت، ط2.

رواية الخالة أم هاني، ربيعة ربحان، دار العين للنشر، القاهرة، ط1، (2020).

عاطفة الاختلاف قراءات في كتابات نسوية: شيرين أبو النجا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر 1998، ط1.

القراءة والتجربة، سعيد يقطين، دار الثقافة. الدار البيضاء، ط1، 1985م.

كتاب العين: الخليل بن أحمد الفراهدي البصري، تح: د مهدي المخزومي. د إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال للنشر.

كتاب العين، الخليل أحمد الفراهيدي، تح: مهدي المخزومي - إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، القاهرة، د.ت.

لسان العرب، ابن منظور، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت. لبنان، ط1، 2000، م.

مختار الصحاح، عبد القادر الرازي، دار الكتاب الحديث، الكويت، ط1، 1993.

المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم: د. محمد حسن جبل، مكتبة الآداب، القاهرة، ط1، 2010م.

معجم اللغة العربية المعاصرة: أحمد مختار عمر، عالم الكتب للنشر، ط1 (1429 هـ. 2008م).

المعجم الوجيز الميسر، دار الكتاب الحديث، الكويت، ط1، 1414 هـ 1993م.

معجم مصطلحات نقد الرواية، د. لطيف زيتوني، دار النهار للنشر، بيروت. لبنان، ط1، 2002.

مقدمة ابن خلدون، عبد الرحمن بن خلدون، اعتنى به: سامح دياب أحمد، فضاء الفن والثقافة للنشر، المغرب، د.ت.

النقد الأدبي الحديث من المحاكاة إلى التفكك: إبراهيم خليل، دار المسيرة للنشر والتوزيع، عمان ط1، 2003.

<https://www.dohadictionary.org/dictionary/%D8%AA%D9%85%D8%B1%D8%AF>

mailto:<https://www.larousse.fr/dictionnaires/francais/r%C3%A9volte/69162>

Définitions: thème - Dictionnaire de français Larousse

مفهوم المقاربة الموضوعاتية (fenni-e-spaces.blogspot.com)

mailto:<https://www.dohadictionary.org/dictionary/الحمارة/>